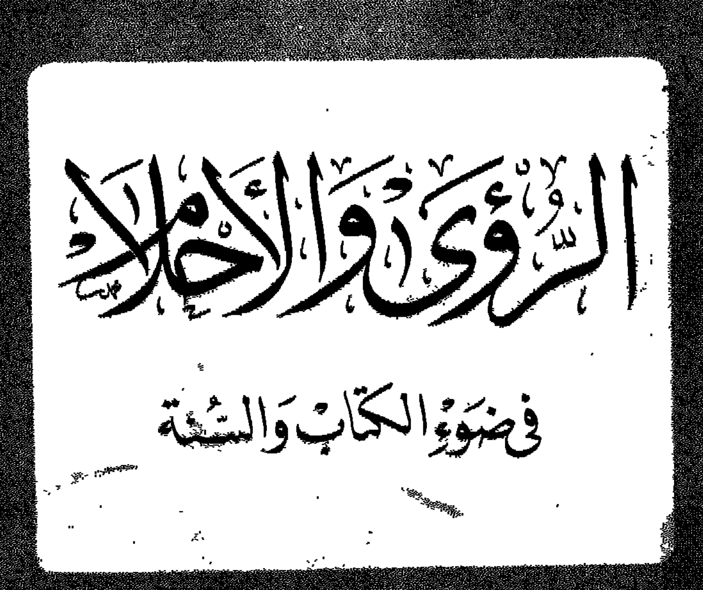


الرؤى والأحلام

في ضوء الكتاب والسنة

للإمام شيخ الإسلام
الحافظ ابن حجر العسقلاني

« دراسات فى العقيدة »

الرؤى والأحلام

فى ضوء الكتاب والسنة

تأليف

الإمام شيخ الإسلام

الحافظ ابن حجر العسقلانى

مكتبة التراث الإسلامى

١٤ شارع صفية زغلول - قصر العينى القاهرة

اهداءات ٢٠٠٢
أ/حسين كامل السيد بك فهمى
الاسكندرية

مكتبة التراث الإسلامي
لصاحبها
عبد الله حجاج
القاهرة
١٤ شارع صفية زغلول - قصر العيني

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الامام شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى فى فتح الباری شرح صحيح البخاری :

الرؤيا : هى ما يراه الشخص فى منامه ، وهى بوزن فُعْلى ، وقد تسهل الهمزة .

وقال الوحدى :

هى فى الأصل مصدر كاليسرى ، فلما جعلت إسماً لما يتخيله النائم أجريت مجرى الأسماء .

قال الراغب :

والرؤية بالهاء : إدراك المرء بحاسة البصر ، وتطلق على ما يدرك بالتخيل نحو : أرى أن زيدًا مسافر ، وعلى التفكير النظرى نحو : (إنى ارى مالا ترون)(١) ؛ وعلى الرأى : وهو اعتقاد أحد النقيضين على غلبة الظن . انتهى .

---

(١) الأنفال : ٤٨ .

وقال القرطبي فى « المفهم » :

قال بعض العلماء : قد تجيء الرؤية بمعنى الرؤيا كقوله تعالى : (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) (١) ، فزعم أن المراد بها : ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء من العجائب . وكان الإسراء جميعه فى اليقظة .

قلت : وعكسه بعضهم ، فزعم أنه حجة لمن قال : إنَّ الإسراء كان منامًا ، والأول المعتمد [كما سيأتى] فى تفسير سورة الإسراء وقول ابن عباس : إنها رؤيا عين ويحتمل أن تكون الحكمة فى تسمية ذلك رؤيا ، لكون أمور الغيب مخالفة لرؤيا الشهادة ، فأشبهت ما فى المنام (٢).

وقال القاضى أبو بكر بن العربى :

الرؤيا : إدراكات علقها الله تعالى فى قلب العبد على يدى ملك أو شيطان ، إما بأسمائها أى حقيقتها ،

---

(١) الإسراء : ٦٠ .

(٢) راجع كتاب الإسراء والمعراج لابن حجر العسقلانى وكتاب الإسراء والمعراج لابن كثير من منشورات مكتبة التراث الإسلامى .

وإما بكناها أى بعبارتها ، وإما تخليط . ونظيرها فى اليقظة الخواطر . فإنها قد تأتى على نسق فى قصة ، وقد تأتى مسترسلة غير محصلة . هذا حاصل قول الأستاذ أبى إسحاق .

قال : وذهب القاضى أبو بكر بن الطيب إلى أنها : اعتقادات ، واحتج بأن الرائى قد يرى نفسه بهيمة أو طائراً مثلاً ، وليس هذا إدراكاً ، فوجب أن يكون اعتقاداً ، لأن الاعتقاد قد يكون على خلاف المعتقد .

قال ابن العربى :

والأول أولى ، والذى يكون من قبيل ما ذكره ابن الطيب من قبيل المثل ، فالإدراك إنما يتعلق به لا بأصل الذات . انتهى ملخصاً .

وقال المازرى :

كثر كلام الناس فى حقيقة الرؤيا ، وقال فيها غير الإسلاميين أقاويل كثيرة منكرة ، لأنهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تدرك بالعقل ولا يقوم عليها برهان ؛

وهم لا يصدقون بالسمع ، فاضطربت أقوالهم . فمن ينتمى إلى الطب ينسب جميع الرؤيا إلى الاخلاط فيقول : من غلب عليه البلغم رأى أنه يسبح فى الماء ، ونحو ذلك ، لمناسبة الماءِ طبيعة البلغم . ومن غلبت عليه الصفراء رأى النيران والصعود فى الجو . . وهكذا إلى آخــره .

وهذا وإن جوزه العقل ، وجاز أن يجرى الله العادة به ، لكنه لم يقم عليه دليل ولا اطردت به عادة ، والقطع فى موضع التجويز غلط .

ومن ينتمى إلى الفلسفة يقول : إن صور ما يجرى فى الأرض ، هى فى العالم العلوى كالنقوش ، فما حاذى بعض النقوش منها انتقش فيها .

وقال : وهذا أشد فساداً من الأول ، لكونه تحكماً لا برهان عليه ، والانتقاش من صفات الأجسام ، وأكثر ما يجرى فى العالم العلوى الأعراض ، والأعراض لا ينتقش فيها .

قال : والصحيح ما عليه أهل السُّنة : أن الله يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان ؛ فإذا خلقها ، فكأنه جعلها علمًا على أمور أخرى يخلقها في ثاني الحال . ومهما وقع منها على خلاف المعتقد ، فهو يقع لليقظان . ونظيره أن الله خلق الغيم علامة على المطر ، وقد يتخلف . وتلك الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملك فيقع بعدها ما يَسُر ، أو بحضرة الشيطان فيقع بعدها ما يَضُر ، والعلم عند الله تعالى .

وقال القرطبي :

سبب تخليط غير الشرعيين إعراضهم عما جاءت به الأنبياء من الطريق المستقيم . وبيان ذلك أن الرؤيا إنما هي إدراكات النفس ، وقد غُيِّبَ عنا علم حقيقتها — أي النفس — ، وإذا كان كذلك فالأولى أن لا نعلم علم إدراكاتها ، بل كثير مما انكشف لنا من إدراكات السمع والبصر إنما نعلم منه أمور جميلة لا تفصيله .

ونقل القرطبي فى « المفهم » عن بعض أهل العلم :

إن لله ملكاً يعرض المرئيات على المحل المدرك من النائم ، فيمثل له صورة محسوسة ، فتارة تكون أمثلة موافقة لما يقع فى الوجود ، وتارة تكون أمثلة لمعادن معقولة ، وتكون فى الحالين مبشرة ومنذرة .

قال : ويحتاج فيما نقله عن الملك إلى توقيف من الشرع ، وإلا فجائز أن يخلق الله تلك المثالات من غير ملك .

قال : وقيل : إن الرؤيا إدراك أمثلة منضبطة فى التخيل جعلها الله أعلاماً على ما كان أو ما يكون .

وقال القاضى عياض :

اختلف فى النائم المستغرق ، فقيل : لا تصح رؤياه ولا ضرب المثل له ، لأن هذا لا يدرك شيئًا مع استغراق أجزاء قلبه ، لأن النوم يُخرج الحى عن صفات التمييز والظن والتخيل ، كما يخرجه عن صفة العلم . وقال آخرون : بل يصح للنائم مع استغراق

أجزاء قلبه بالنوم أن يكون ظاناً ومتخيلاً ، وأما العلم فلا ، لأن النوم آفة تمنع حصول الاعتقادات الصحيحه . نعم ، إن كان بعض أجزاء قلبه لم يخل فيه النوم فيصح ، وبه يضرب المثل ، وبه يرى ما يتخيله ، ولا تكليف عليه حينئذ ، لأن رؤياه ليست على حقيقة وجود العلم ولا صحة التمييز . وإنما بقيت فيه بقية يدرك بها ضرب المثل .

وأيده القرطبي بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينام عينه ولا ينام قلبه . ومن ثم احترز القائل بقوله : « المدرك » من النائم ، ولذا قال : « منضبطة فى التخيل » ، لأن الرائى لا يرى فى منامه إلا من نوع ما يدركه فى اليقظة بحسه ، إلا أن التخيلات قد تركب فى النوم تركيباً يحمل به صورة لا عهد له بها ، يكون علماً على أمر نادر ، كمن رأى رأس إنسان على جسد فرس له جناحان مثلاً . وأشار بقوله : « أعلاما » ، إلى الرؤيا الصحيحة المنتظمة الواقعة على شروطها .

وأما الحديث الذى أخرجه الحاكم والعقيلى من رواية محمد بن عجلان عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال :

لقى عمر علياً فقال : يا أبا الحسن ، الرجل يرى الرؤيا ، فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب ؟ قال : نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ما من عبد ولا أمة ينام فيمتلىء نوماً إلا تخرج روحه إلى العرش ، فالذى لا يستيقظ دون العرش ، فتلك الرؤيا التى تصدق ، والذى يستيقظ دون العرش ، فتلك الرؤيا التى تكذب » .

قال الذهبى فى « تلخيصه » :

هذا حديث منكر لم يصححه المؤلف . ولعل الآفة من الراوى عن ابن عجلان . قلت : هو « أزهر بن عبد الله الأزدى الخراسانى » ، ذكره العقيلى فى « ترجمته » وقال : إنه غير محفوظ .

ثم ذكره من طريق أخرى عن إسرائيل عن أبى

إسحاق عن الحارث عن على ببعضه . وذكر فيه اختلافاً فى وقفه ورفعه .

وذكر ابن القيم حديثاً مرفوعًا غير معزو : « إن رؤيا المؤمن كلام يكلم به العبد ربه فى المنام » . ووُجِد الحديث المذكور فى « نوادر الأُصول » للترمذى ، من حديث عبادة بن الصامت ، أَخرجه فى الأَصل الثامن والسبعين ، وهو من روايته عن شيخه عمر بن أَبى عمر ، وهو واه وفى سنده جنيد .

قال ابن ميمون :

عن حمزة بن الزبير عن عبادة ، قال الحكيم : قال بعض أَهل التفسير فى قوله تعالى :
(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب) (١) :

أَى فى المنام ، ورؤيا الأَنبياءِ وحى بخلاف غيرهم . فالوحى لا يدخله خلل لأَنه محروس ، بخلاف رؤيا غير الأَنبياءِ ، فإنها قد يحضرها الشيطان .

(١) الشورى : ٥١ .

وقال الحكيم أيضاً :

وكل الله بالرؤيا ملكاً اطلع على أحوال بنى آدم من اللوح المحفوظ ، فينسخ منها ويضرب لكل على قصته مثلاً ، فإذا نام مثّل تلك الأشياء على طريق الحكمة ، لتكون له بشرى أو نذارة أو معاتبة . والآدمى قد تسلط عليه الشيطان لشدة العداوة بينهما ، فهو يكيده بكل وجه ، ويريد إفساد أموره بكل طريق ، فيلبس عليه رؤياه ، إما بتغليطه فيها ، وإما بغفلته عنها . ثم جميع المرائى تنحصر على قسمين :

١ — الصادقة :

وهى رؤيا الأنبياء ومن تبعهم من الصالحين ، وقد تقع لغيرهم بندور ، وهى التى تقع فى اليقظة على وفق ما وقعت فى النوم .

٢ — والأضغاث :

وهى لا تنذر بشىء وهى أنواع :

الأول : تلاعب الشيطان ليحزن الرائى ، كأن

يرى أنه قطع رأسه وهو يتبعه ، أو رأى أنه واقع في هول ولا يجد من ينجده ونحو ذلك .

الثاني : أن يرى أن بعض الملائكة تأمره أن يفعل المحرمات مثلاً ونحوه من المحال عقلاً .

الثالث : أن يرى ما تتحدث به نفسه في اليقظة أو يتمناه فيراه كما هو في المنام ، وكذا رؤية ما جرت به عادته في اليقظة ، أو ما يغلب على مزاجه ، ويقع عن المستقبل غالباً وعن الحال كثيراً ، وعن الماضي قليلاً .

* * *

الرؤيا الصادقة والرؤيا الصالحة

ترجم البخارى رحمه الله لذلك بباب رؤيا الصالحين وقوله تعالى :

« لقد صدق اللهُ رسولَهُ الرؤيا بالحق ، لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين مُحلِّقين رؤوسكم ومقصِّرين لا تخافون ، فعلم ما لم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً » (١) .

وأخرج عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم قال : « الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » .

وأخرجه عن عبادة بن الصامت وأبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة »

---

(١) الفتح : ٢٧ .

وأخرجه عن أبى سعيد الخدرى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » .

قال الحافظ رحمه الله :

قوله : « الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح » يقيد ما أطلق فى غير هذه الرواية ، كقوله : « رؤيا المؤمن جزء . . . » ولم يقيدها بكونها حسنة ولا بأن رائيها صالح . ووقع فى حديث أبى سعيد : « الرؤيا الصالحة » وهو تفسير المراد بالحسنة هنا .

قال المهلب :

المراد غالب رؤيا الصالحين ، وإلا فالصالح قد يرى الأضغاث ، ولكنه نادر ، لقلة تمكن الشيطان منهم ، بخلاف عكسهم ، فإن الصدق فيها نادر لغلبة تسلط الشيطان عليهم . قال : فالناس على هذا ثلاث درجات :

١ - الأنبياء :

ورؤياهم كلها صدق ، وقد يقع فيها ما يحتاج إلى تعبير.

٢ - والصالحون :

والأغلب على رؤياهم الصدق ، وقد يقع فيها ما لا يحتاج إلى تعبير .

٣ - ومن عداهم :

يقع فى رؤياهم الصدق والأضغاث ، وهى على ثلاثة أقسام :

(الأول) مستورون :

فالغالب استواء الحال فى حقهم .

(الثانى) فسقة :

والغالب على رؤياهم الأضغاث ويقل فيها الصدق .

(الثالث) كفار :

ويندر فى رؤياهم الصدق جداً . ويشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً » . أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة .

وقد وقعت الرؤيا الصادقة من بعض الكفار ، كما فى رؤيا صاحِبَىْ السجن مع يوسف عليه السلام ، ورؤيا ملكهما وغير ذلك .

وقال القاضى أبو بكر بن العربى :

رؤيا المؤمن الصالح هى التى تنسب إلى أجزاء النبوة ، ومعنى صلاحها : استقامتها وانتظامها . قال : وعندى أن رؤيا الفاسق لا تعد فى أجزاء النبوة ، وقيل : تُعد من أقصى الأجزاء . وأما رؤيا الكافر فلا تُعد أصلاً .

وقال القرطبى :

المسلم الصادق الصالح هو الذى يناسب حاله حال الأنبياء ، فأكرم بنوع مما أكرم به الأنبياء ، وهو الاطلاع على الغيب . وأما الكافر والفاسق والمخلِّط فلا ، ولو صدقت رؤياهم أحياناً فذاك كما قد يصدق الكذوب وليس كل من حدث عن غيب يكون خبره من أجزاء النبوة ، كالكاهن والمنجم .

ولمسلم منْ حديث أبى هريرة : « جزء من خمسة وأربعين » أخرجه من طريق أيوب عن محمد بن

سيرين عنه . ووقع عند مسلم أيضاً من حديث ابن عمر : « جزء من سبعين جزءاً » . وكذا أخرجه ابن أبي شيبة عن ابن مسعود موقوفاً . وأخرجه الطبرانى من وجه آخر عنه مرفوعاً .

وله من وجه آخر عنه : « جزء من ستة وسبعين » وسندها ضعيف . وأخرجه ابن أبي شيبة أيضاً من رواية حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة موقوفاً كذلك . وأخرجه أحمد مرفوعاً . لكن أخرجه مسلم من رواية الأعمش عن أبي صالح كالجادة . ولابن ماجه مثل حديث ابن عمر مرفوعاً وسنده لين . وعند أحمد والبزار عن ابن عباس بمثله وسنده جيد .

وأخرج ابن عبد البر من طريق عبد العزيز بن المختار ، عن ثابت عن أنس مرفوعاً : « جزء من ستة وعشرين » والمحفوظ من هذا الوجه كالجادة . . وأخرج أحمد وأبو يعلى والطبرى فى « تهذيب الآثار » من طريق الأعرج عن سليمان بن غريب — بمهملة وزن عظيم —

عن أبي هريرة : كالجادة . قال سليمان : فذكرته لابن عباس فقال : « جزء من خمسين » فقلت سمعت أبا هريرة . فقال ابن عباس : فإني سمعت العباس ابن عبد المطلب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الرؤيا الصالحة من المؤمن جزء من خمسين جزءاً من النبوة » .

وللترمذى والطبرى من حديث أبي رزين والعقيلي: « جزءٌ من أربعين » . وأخرجه الترمذى من وجه آخر كالجادة . وأخرجه الطبرى من وجه آخر عن ابن عباس : « أربعين » . وللطبرى من حديث عبادة : « جزء من أربعة وأربعين » ، والمحفوظ عن عبادة كالجادة كما (تقدم) .

وأخرج الطبرى وأحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص : « جزء من تسعة وأربعين » . وذكره القرطبي فى « المفهم » بلفظ « سبعة » بتقديم السين . فحصلنا من هذه الروايات على عشرة أوجه أقلها :

« جزء من ستة وعشرين » وأكثرها « من ستة وسبعين وبين ذلك : « أربعين » و « أربعة وأربعين » و « خمسة وأربعين » و « سبعة وأربعين » و « تسعة وأربعين » و « خمسين » و « سبعين » . أصحها مطلقاً الأول ويليه « السبعين » .

وقد استشكل كون الرؤيا جزءاً من النبوة مع أن النبوة انقطعت بموت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقيل في الجواب : إن وقعت الرؤيا من النبي صلى الله عليه وسلم فهي جزء من أجزاء النبوة حقيقة ، وإن وقعت من غير النبي فهي جزء من أجزاء النبوة على سبيل المجاز .

وقال الخطابي :

معناه أن الرؤيا تجيء على موافقة النبوة لا أنها جزء باق من النبوة .

وقيل : المعنى أنها جزء من علم النبوة لأن النبوة وإن انقطعت فعلمها باق .

وتعقب بقول مالك فيما حكاه ابن عبد البر : أنه

سئل : أيعبر الرؤيا كل أحد ؟ فقال : أبالنبوة يلعب ؟!
ثم قال : الرؤيا جزء من النبوة ، فلا يلعب بالنبوة .
والجواب : أنه لم يرد أنها نبوة باقية ، وإنما أراد أنها
لما أشبهت النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب
لا ينبغى أن يتكلم فيها بغير علم .

قال ابن بطال :

كون الرؤيا جزءاً من أجزاء النبوة مما يستعظم ،
ولو كانت جزءاً من ألف جزء . فيمكن أن يقال :
إن لفظ النبوة مأخوذ من الإنباء : وهو الإعلام لغة ،
فعلى هذا ، فالمعنى أن الرؤيا خبر صادق من الله لا كذب
فيه ، كما أن معنى النبوة نبأ صادق من الله لا يجوز
عليه الكذب ، فشابهت الرؤيا النبوة فى صدق الخبر .

وقال المازرى :

يحتمل أن يراد بالنبوة فى هذا الحديث الخبر
بالغيب لا غير ، وإن كان يتبع ذاك إنذار أو تبشير ،
فالخبر بالغيب أحد ثمرات النبوة ، وهو غير مقصود
لذاته لأنه يصح أن يبعث نبى يقرر الشرع ويبين

الأحكام وإن لم يخبر فى طول عمره بغيب ولا يكون ذلك قادحاً فى نبوته ولا مبطلاً للمقصود منها . والخبر بالغيب من النبي لا يكون إلا صدقاً ولا يقع إلا حقاً . وأما خصوص العدد فهو مما أطلع الله عليه نبيه ، لأنه يعلم من حقائق النبوة مالا يعلمه غيره . قال : وقد سبق بهذا الجواب جماعة لكنهم لم يكشفوه ولم يحققوه.

وقال القاضى أبو بكر بن العربى :

أجزاء النبوة لا يعلم حقيقتها إلا ملك أو نبى ، وإنما القدر الذى أراده النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة فى الجملة ، لأن فيها اطلاعاً على الغيب من وجه ما ، وأما تفصيل النسبة فيختص بمعرفته درجة النبوة . . وقال المازرى : لا يلزم العالم أن يعرف كل شيء جملة وتفصيلاً ، وهذا من هذا القبيل .

وقد تكلم بعضهم على الرواية المشهورة وأبدى لها مناسبة ، فنقل ابن بطال عن أبي سعيد السفاقسى :

أن بعض أهل العلم ذكر أن الله أوحى إلى نبيه فى المنام ستة أشهر ، ثم أوحى إليه بعد ذلك فى اليقظة بقية مدة حياته ، ونسبتها من الوحى فى المنام جزء من ستة وأربعين جزءاً ، لأنه عاش بعد النبوة ثلاثاً وعشرين سنة على الصحيح .

وقال ابن بطال :

هذا التأويل يفسد من وجهين :

أحدهما : أنه قد اختلف فى قدر المدة التى بعد بعثة النبى صلى الله عليه وسلم إلى موته .

والثانى : أنه يبقى حديث السبعين جزءاً بغير معنى .

قلت : ويضاف إليه بقية الأعداد الواقعة .

وقد سبقه الخطابى إلى إنكار هذه المناسبة فقال : كان بعض أهل العلم يقول فى تأويل العدد قولاً لا يكاد يتحقق ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أقام بعد الوحى ثلاثاً وعشرين سنة ، وكان يوحى إليه فى منامه ستة أشهر ، وهى نصف سنة ، فهى جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة .

قال الخطابى :

وهذا وإن كان وجهاً تحتمله قسمة الحساب والعدد ، فأول ما يجب على من قاله أن يثبت بما ادعاه خبراً ، ولم يسمع فيه أثر ولا ذكر مدعيه فى ذلك خبراً . فكأنه قاله على سبيل الظن ، والظن لا يغنى من الحق شيئاً ، ولئن كانت هذه المدة محسوبة من أجزاء النبوة على ما ذهب إليه ، فليلحق بها سائر الأوقات التى كان يوحى إليه فيها فى منامه فى طول المدة ، كما ثبت ذلك عنه فى أحاديث كثيرة جليلة القدر ، والرؤيا فى أُحُد ، وفى دخول مكة ، فإنه يتلفق من ذلك مدة أخرى وتزاد فى الحساب فتبطل القسمة التى ذكرها .

قال : فدل ذلك على ضعف ما تأوله المذكور ، وليس كل ما خفى علينا علمه لا يلزمنا حجته ، كأعداد الركعات وأيام الصيام ورمى الجمار ، فإنا لا نصل من علمها إلى أمر يوجب حصرها تحت أعدادها ، ولم يقدح ذلك فى موجب اعتقادنا للزومها . وهو كقوله فى حديث آخر : « المَدْيِ الصالح والسمت

الصالح جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة » ، فإن تفصيل العدد وحصر النبوة متعذر ، وإنما فيه أن هاتين الخصلتين من جملة هَدْى الأنبياء وَسمتهم ، فكذلك معنى حديث الباب المراد به تحقيق أمر الرؤيا وأنها مما كان الأنبياءُ عليه ، وأنها جزءٌ من أجزاء العلم الذى كان يأتيهم ، والأنباء التى كان ينزل بها الوحى عليهم .

وقد قبل جماعة من الأئمة المناسبة المذكورة وأجابوا عما أورده الخطابى . أما الدليل على كون الرؤيا كانت ستة أشهر ، فهو أن ابتداء الوحى كان على رأس الأربعين من عمره صلى الله عليه وسلم كما جزم به ابن إسحاق وغيره ، وذلك فى ربيع الأول ، ونزول إليه وهو بغار حراء كان فى رمضان وبينهما ستة أشهر .

وفى هذا الجواب نظر ، لأنه على تقدير تسليمه ، ليس فيه تصريح بالرؤيا . وقد قال النووى : لم يثبت أن زمن الرؤيا للنبى صلى الله عليه وسلم كان

ستة أشهر ، وأما ما ألزمه به من تلفيق أوقات المرائى وضمها إلى المدة ، فإن المراد وحى المنام المتتابع . وأما ما وقع منه فى غضون وحى اليقظة فهو يسير بالنسبة إلى وحى اليقظة ، فهو مغمور فى جانب وحى اليقظة ، فلم يعتبر بمدته . وهو نظير ما اعتمدوه فى نزول الوحى ، وقد أطبقوا على تقسيم النزول إلى مكى ومدنى قطعاً . فالمكى : ما نزل قبل الهجرة ولو وقع بغيرها مثلاً كالطائف ونخلة ، والمدنى : ما نزل بعد الهجرة ولو وقع وهو بغيرها كما فى الغزوات وسفر الحج والعمرة حتى مكة .

قلت : وهو اعتذار مقبول . ويمكن الجواب عن اختلاف الأعداد ، أنه وقع بحسب الوقت الذى حدّث فيه النبى صلى الله عليه وسلم بذلك ، كأن يكون لما أكمل ثلاث عشرة سنة بعد مجىء الوحى إليه حدّث بأن الرؤيا « جزء من ستة وعشرين » إن ثبت الخبر بذلك ، وذلك وقت الهجرة ، ولما أكمل عشرين حدّث بـ « أربعين » ، ولما أكمل اثنين وعشرين حدث بـ « أربعة وأربعين » ثم بعدها بـ « خمسة وأربعين » ثم

حدّث بـ « ستة وأربعين » فى آخر حياته . وأما ما عدا ذلك من الروٴيات بعد الأربعين فضعيف ، ورواية « الخمسين » يحتمل أن تكون لجبر الكسر ، ورواية السبعين للمبالغة ، وما عدا ذلك لم يثبت ، وهذه مناسبة لم أر من تعرض لها .

ووقع فى بعض الشروح مناسبة للسبعين ظاهرة التكلف ، وهى أنه صلى الله عليه وسلم قال فى الحديث الذى أخرجه أحمد وغيره : « أنا بشارة عيسى ودعوة إبراهيم ورأت أمى نوراً » ، فهذه ثلاثة أشياء تضرب فى مدة نبوته وهى ثلاثة وعشرون سنة تضاف إلى أصل الروٴيا فتبلغ سبعين .

قلت : ويبقى فى أصل المناسبة إشكال آخر ، وهو أن المتبادر من الحديث إرادة تعظيم روٴيا المؤمن الصالح ، والمناسبة المذكورة تقتضى قصر الخبر على صورة ما اتفق لنبينا صلى الله عليه وسلم ، كأنه قيل : كانت المدة التى أوحى الله إلى نبينا فيها فى المنام

جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من المدة التى أوحى الله إليها فى اليقظة ، ولا يلزم من ذلك أن كل رؤيا لكل صالح تكون كذلك ، ويؤيد إرادة التعميم الذى ذكره الخطابى فى الهَدْى والسَّمْت ، فإنه ليس خاصاً بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم أصلاً .

وقد أنكر الشيخ أبو محمد بن أبى جمرة التأويل المذكور فقال : ليس فيه كبير فائدة ، ولا ينبغى أن يحمل كلام المؤيد بالفصاحة والبلاغة على هذا المعنى ، ولعل قائله أراد أن يجعل بين النبوة والرؤيا نوع مناسبة فقط ، ويعكر عليه الاختلاف فى عدد الأجزاء .

وقد أبدى غير الخطابى المناسبة باختلاف الروايات فى العدد المذكور ، وقد جمع بينها جماعة أولهم الطبرى فقال : رواية « السبعين » عامة فى كل رؤيا صادقة من كل مسلم ، ورواية « الأربعين » خاصة بالمؤمن الصادق الصالح ، وأما ما بين ذلك فالبنسبة لأحوال المؤمنين .

وقال ابن بطال :

أما الاختلاف فى العدد قلة وكثرة فأصح ما ورد فيها : « من ستة وأربعين » و « من سبعين » وما بين ذلك من أحاديث الشيوخ . وقد وجدنا الرؤيا تنقسم قسمين :

١ - جلية ظاهرة : كمن رأى فى المنام أنه يعطى تمراً فأعطى تمراً مثله فى اليقظة ، فهذا القسم لا إغراب فى تأويلها ولا رمز فى تفسيرها .

٢ - ومرموزة بعيدة المرام : فهذا القسم لا يقوم به حتى يعبره إلا حاذق ، لبعد ضرب المثل فيه . فيمكن أن هذا من السبعين والأول من الستة والأربعين .

لأنه إذا قلت الأجزاء كانت الرؤيا أقرب إلى الصدق وأسلم من وقوع الغلط فى تأويلها : بخلاف ما إذا كثرت . قال : وقد عرضت هذا الجواب على جماعة فحسنوه ، وزادنى بعضهم فيه : أن النبوة على مثل هذين الوصفين تلقاها الشارع عن جبريل ، فقد أخبر أنه كان يأتيه الوحى مرة فيكلمه بكلام فيعيه

بغير كلفة . ومرة يلقى إليه جملاً وجوامع يشتد عليه حملها حتى تأخذه الرُّحَضاءُ وينحدر منه العرق ، ثم يطلعه الله على بيان ما ألقى عليه منها .

ولخصه المازرى فقال :

قيل إن المنامات دلالات منها ما هو جلى ومنها ما هو خفى ، فالأقل فى العدد هو الجلى ، والأكثر فى العدد هو الخفى ، وما بين ذلك .

وقال الشيخ أبو محمد بن أبى جمرة ما حاصله :

أن النبوة جاءت بالأمور الواضحة ، وفى بعضها ما يكون فيه إجمال مع كونه مبيناً فى موضع آخر ، وكذلك المرائى ، منها ما هو صريح لا يحتاج إلى تأويل ومنها ما يحتاج . فالذى يفهمه العارف من الحق الذى يعرج عليه منها جزء من أجزاء النبوة ، وذلك الجزء يكثر مرة ويقل أخرى بحسب فهمه . فأعلاهم من يكون بينه وبين درجة النبوة أقل ما ورد من العدد ، وأدناهم الأكثر من العدد ، ومن عداهما ما بين ذلك .

وقال القاضي عياض :

ويحتمل أن تكون هذه التجزئة فى طرق الوحى : إذ منه ما سمع من الله بلا واسطة ، ومنه ما جاء بواسطة الملك ، ومنه ما ألقى فى القلب من الإلهام ، ومنه ما جاء به الملك وهو على صورته أو على صورة آدمى معروف أو غير معروف ، ومنه ما أتاه به فى النوم ، ومنه ما أتاه به فى صلصلة الجرس ، ومنه ما يلقيه روح القدس فى روعه ، إلى غير ذلك مما وقفنا عليه ومما لم نقف عليه ، فتكون تلك الحالات إذا عُدَّت انتهت إلى العدد المذكور .

قال القرطبى فى « المفهم » :

ولا يخفى ما فيه من التكلف والتساهل ، فإن تلك الأعداد إنما هى أجزاء النبوة . وأكثر الذى ذكره أحوال لغير النبوة ، لكونه يعرف الملك أو لا يعرفه ، أو يأتيه على صورته أو على صورة آدمى . ثم مع هذا التكلف لم يبلغ عددُ ما ذكر عشرين ، فضلاً عن سبعين

قلت : والذى نحاه القاضي سبقه إليه الحليمى ،

فقرأت فى « مختصر » للشيخ علاء الدين القونوى بخطه ما نصه : ثم إن الأنبياء يختصون بآيات يؤيدون بها عمن ليس مثلهم ، كما تميزوا بالعلم الذى أوتوه . فيكون لهم الخصوص من وجهين :

١ - فما هو فى حيز التعليم هو النبوة .

٢ - وما هو فى حيز التأييد هو حجة النبوة .

قال : وقد قصد الحليمى فى هذا الموضع بيان كون الرؤيا الصالحة « جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » فذكر وجوهاً من الخصائص العلمية للأنبياء تكلف فى بعضها حتى أنهاها إلى العدد المذكور ، فتكون الرؤيا واحداً من تلك الوجوه :

فأعلاها : تكليم الله بغير واسطة .

ثانيها : الإلهام بلا كلام ، بل يجد علم شىء فى نفسه من غير تقدم ما يوصل إليه بحس أو استدلال .

ثالثها : الوحى على لسان ملك يراه فيكلمه .

رابعها : نفث الملك فى رَوْعه ، وهو الوحى الذى يخص به القلب دون السمع . قال : وقد ينفث الملك فى رَوْع بعض أهل الصلاح ، لكن بنحو : الاطماع فى الظفر بالعدو ، والترغيب فى الشىء والترهيب من الشىء ، فيزول عنه بذلك وسوسة الشيطان بحضور الملك ، لا بنحو نفى علم الأحكام والوعد والوعيد ، فإنه من خصائص النبوة .

خامسها : إكمال عقله ، فلا يعرض له فيه عارض أصلًا .

سادسها : قوة حفظه حتى يسمع السورة الطويلة فيحفظها من مرة ولا ينسى منها حرفاً .

سابعها : عصمته من الخطأ فى اجتهاده .

ثامنها : ذكاء فهمه حتى يتسع لضروب من الاستنباط .

تاسعها : ذكاء بصره حتى يكاد يبصر الشىء من أقصى الأرض .

عاشرها : ذكاء سمعه حتى يسمع من أقصى الأرض ما لا يسمعه غيره .

حادى عشرها : ذكاء شمه ، كما وقع ليعقوب فى قميص يوسف .

ثانى عشرها : تقوية جسده حتى سار فى ليلة مسيرة ثلاثين ليلة .

ثالث عشرها : عروجه إلى السماوات .

رابع عشرها : مجىء الوحى له فى مثل صلصلة الجرس .

خامس عشرها : تكليم الشاة .

سادس عشرها : إنطاق النبات .

سابع عشرها : إنطاق الجذع .

ثامن عشرها : إنطاق الحجر .

تاسع عشرها : إفهامه عواء الذئب أن يفرض له رزقاً .

العشرون : إفهامه رغاء البعير .

الحادية والعشرون : أن يسمع الصوت ولا يرى المتكلم .

الثانية والعشرون : تمكينه من مشاهدة الجن .

الثالثة والعشرون : تمثيل الأشياء المغيبة له ، كما مُثِّل له بيت المقدس صبيحة الإسراء .

الرابعة والعشرون : حدوث أمر يعلم به العاقبة ، كما قال فى الناقة لما بركت فى الحديبية « حبسها حابس الفيل » .

الخامسة والعشرون : استدلاله باسم على أمر ، كما قال لما جاءهم سهيل بن عمرو : « وقد سهل لكم الأمر ».

السادسة والعشرون : أن ينظر شيئاً علوياً فيستدل به على أمر يقع فى الأرض ، كما قال : « إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب » .

السابعة والعشرون : رؤيته من ورائه .

الثامنة والعشرون : اطلاعه على أمر وقع لمن مات قبل أن يموت ، كما قال فى حنظلة : « رأيت الملائكة تغسله » وكان قتل وهو جنب .

التاسعة والعشرون : أن يظهر له ما يستدل به على فتوح مستقبل ، كما جاء ذلك يوم الخندق .

الثلاثون : اطلاعه على الجنة والنار فى الدنيا .

الحادية والثلاثون : الفراسة .

الثانية والثلاثون : طواعية الشجرة حتى انتقلت بعروقها وغصونها من مكان إلى مكان ثم رجعت .

الثالثة والثلاثون : قصة الظبية وشكواها له ضرورة خشفها الصغير .

الرابعة والثلاثون : تأويل الرؤيا بحيث لا تخطىء .

الخامسة والثلاثون : الحزر فى الرطب وهو على النخل أنه يجىء كذا وكذا وسقًا من التمر ، فجاء كما قـــال .

السادسة والثلاثون : الهداية إلى الأحكام .

السابعة والثلاثون : الهداية إلى سياسة الدين والدنيا

الثامنة والثلاثون : الهداية إلى هيئة العالم وتركيبه .

التاسعة والثلاثون : الهداية إلى مصالح البدن بأنواع الطب .

الأربعون : الهداية إلى وجوه القربات .

الحادية والأربعون : الهداية إلى الصناعات النافعة .

الثانية والأربعون : الاطلاع على ما سيكون .

الثالثة والأربعون : الاطلاع على ما كان مما لم ينقله أحد قبله .

الرابعة والأربعون : التوقيف على أسرار الناس ومخبآتهم .

الخامسة والأربعون : تعليم طرق الاستدلال .

السادسة والأربعون : الاطلاع على طريقة التلطف فى المعاشرة .

قال : فقد بلغت خصائص النبوة فيما مرجعه العلم ستة وأربعين وجهاً ، ليس منها وجه إلا وهو يصلح أن يكون مقارباً للرؤيا الصالحة التى أخبر أنها « جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » ، والكثير منها إن كان يقع لغير النبى ، لكنه للنبى لا يخطىء أصلاً ، ولغيره قد يقع فيه الخطأ والله أعلم .

وقال الغزالى فى كتاب الفقر والزهد من «الإحياء» لما ذكر حديث: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام» وفى رواية: «بأربعين سنة» قال: وهذا يدل على تفاوت درجات الفقراء، فكان الفقير الحريص على جزء من خمسة وعشرين جزءاً من الفقير الزاهد، لأن هذه نسبة الأربعين إلى الخمسمائة، ولا يظن أن تقدير النبي صلى الله عليه وسلم على لسانه كيفما اتفق، بل لا ينطق إلا بحقيقة الحق. وهذا كقوله: «الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»، فإنه تقدير تحقيق، لكن ليس فى قوة غيره أن يعرف علة تلك النسبة إلا بتخمين، لأن النبوة عبارة عما يختص به النبي ويفارق به غيره، وهو يختص بأنواع من الخواص، منها أنه يعرف حقائق الأمور المتعلقة بالله وصفاته وملائكته والدار الآخرة، لا كما يعلمه غيره، بل عنده من كثرة المعلومات وزيادة اليقين والتحقيق ما ليس عند غيره. وله صفة تتم له

بها الأفعال الخارقة للعادات التي يفارق بها الذكي البليد ، فهذه صفات كمالات ثابتة للنبي ، يمكن انقسام كل واحدة منها إلى أقسام ، بحيث يمكننا أن نقسمها إلى أربعين وإلى خمسين وإلى أكثر ، وكذا يمكننا أن نقسمها إلى ستة وأربعين جزءاً ، بحيث تقع الرؤيا الصحيحة جزءاً من جملتها ، لكن لا يرجع إلا إلى ظن وتخمين ، لا أنه أراده النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة . انتهى ملخصاً . وأظنه أشار إلى كلام الحليمي فإنه مع تكلفه ليس على يقين أن الذي ذكره هو المراد ، والله أعلم .

وقال ابن الجوزي : لما كانت النبوة تتضمن اطلاعاً على تحقيقها فيما بعد ، وقع تشبيه رؤيا المؤمن بها . وقيل : إن جماعة من الأنبياء كانت نبوتهم وحياً في المنام فقط ، وأكثرهم ابتدئ بالوحي في المنام ، ثم رقوا إلى الوحي في اليقظة ، فهذا بيان مناسبة تشبيه المنام الصادق بالنبوة . وأما خصوص العدد المذكور ، فتكلم فيه

جماعة . فذكر المناسبة الأولى ، وهى أن مدة وحى المنام إلى نبينا كانت ستة أشهر وقد تقدم ما فيه ، ثم ذكر أن الأحاديث اختلفت فى هذا العدد المذكور . قال : فعلى هذا تكون رؤيا المؤمن مختلفة : أعلاها « ستة وأربعون » وأدناها « سبعون » . . ثم ذكر المناسبة التى ذكرها الطبرى .

وقال القرطبي فى « المفهم » : يحتمل أن يكون المراد من هذا الحديث : أن المنام الصادق خصلة من خصال النبوة ، كما جاء فى الحديث الآخر : « التؤدة والاقتصاد وحسن السمت جزء من ستة وعشرين جزءاً من النبوة » ؛ أى النبوة مجموع خصال مبلغ أجزائها ذلك ، وهذه الثلاثة جزء منها ، وعلى مقتضى ذلك ، يكون كل جزء من الستة والعشرين ثلاثة أشياء ، فإذا ضربنا ثلاثة فى ستة وعشرين انتهت إلى ثمانية وسبعين ، فيصح لنا عدد خصال النبوة من حيث آحادها ثمانية وسبعون . قال ويصح أن يسمى كل اثنين منها جزءاً ، فيكون العدد بهذا الاعتبار

تسعة وثلاثين ، ويصح أن يسمى كل أربعة منها جزءاً ، فتكون تسعة عشر جزءاً ونصف جزءا . . فيكون اختلاف الروايات فى العدد بحسب اختلاف اعتبار الأجزاء ، ولا يلزم منه اضطراب .

قال : وهذا أشبه ما وقع لى فى ذلك ، مع أنه لم ينشرح به الصدر ، ولا اطمأنت إليه النفس .

قلت : وتمامه أن يقول فى الثمانية والسبعين بالنسبة لرواية « السبعين » : ألغى فيها الكسر ، وفى التسعة والثلاثين بالنسبة لرواية « الأربعين » : جبر الكسر . ولا تحتاج إلى العدد الأخير لما فيه من ذكر النصف ، وما عدا ذلك من الأعداد ، قد أشار إلى أنه يعتبر بحسب ما يقدر من الخصال .

ثم قال : وقد ظهر لى وجه آخر ، وهو أن النبوة معناها أن الله يطلع من يشاء من خلقه على ما يشاء من أحكامه ووحيه ، إما بالمكالمة وإما بواسطة الملك وإما بإلقاء فى القلب بغير واسطة . لكن هذا المعنى المسمى

بالنبوة لا يخص الله به إلا من خصه بصفات كمال نوعه من المعارف والعلوم والفضائل والآداب مع تنزهه عن النقائص ، أطلق على تلك الخصال نبوة ، كما فى حديث : « التؤدة والاقتصاد . . » أى تلك الخصال من خصال الأنبياء ، والأنبياء مع ذلك متفاضلون فيها ، كما قال تعالى : « ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض» (١) ومع ذلك فالصدق أعظم أوصافهم يقظة ومناماً ، فمن تأسى بهم فى الصدق حصل من رؤياه على الصدق .

ثم لما كانوا فى مقاماتهم متفاوتين كان أتباعهم من الصالحين كذلك ، وكان أقل خصال الأنبياء ما إذا اعتبر كان ستة وعشرين جزءاً وأكثرها ما يبلغ سبعين ، وبين العددين مراتب مختلفة بحسب ما اختلفت ألفاظ الروايات ، وعلى هذا فمن كان من غير الأنبياء فى صلاحه وصدقه على رتبة تناسب حال نبى من الأنبياء ، كانت رؤياه جزءاً من نبوة ذلك النبى . ولما كانت

(١) الإسراء : ٥٥ .

كمالاتهم متفاوتة ، كانت نسبة أجزاء منامات الصادقين متفاوته على ما فصلناه . قال : وبهذا يندفع الاضطراب إن شاء الله .

وذكر الشيخ أبو محمد بن أبى جمهرة وجهاً آخر ملخصه : أن النبوة لها وجوه من الفوائد الدنيوية والأخروية: خصوصاً وعموماً ، منها ما يعلم ومنها ما لا يعلم ، وليس بين النبوة والرؤيا نسبة إلا فى كونها حقاً ، فيكون مقام النبوة بالنسبة لمقام الرؤيا ، بحسب تلك الأعداد ، راجعة إلى درجات الأنبياء ، فنسبتها من أعلاهم وهو من ضم له إلى النبوة الرسالة أكثر ما ورد من العدد ، ونسبتها إلى الأنبياء غير المرسلين أقل ما ورد من العدد ، وما بين ذلك ، ومن ثم أطلق فى الخبر النبوة ولم يقيدها بنبوة نبى بعينه .

ورأيت فى بعض الشروح أن معنى الحديث ، أن للمنام شبهاً بما حصل للنبى وتميز به عن غيره بجزء من ستة وأربعن جزءاً .

فهذه عدة مناسبات لم أر من جمعها فى موضع واحد ، فلله الحمد على ما ألهم وعلّم . ولم أقف فى شىء من الأخبار على كون الإلهام جزءاً من أجزاء النبوة ، مع أنه من أنواع الوحى ، إلا أن ابن أبى جمرة تعرض لشىء منه (كما سيأتى) إن شاء الله تعالى .

* * *

المبشرات

أخرج البخاري رحمه الله : عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« لم يبق من النبوة إلا المبشرات » . قالوا : وما المبشرات ؟ قال :الرؤيا الصالحة »

قال الحافظ رحمه الله :

المُبَشِّرَات – بكسر الشين المعجمة – : جمع مُبَشِّرة : وهي البشرى . وقد ورد في قوله تعالى : « لهم البشرى في الحياة الدنيا » (١) : هي الرؤيا الصالحة . أخرجه الترمذي وابن ماجه وصححه الحاكم من رواية أبي سلمة ابن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت ، ورواته ثقات إلا أن أبا سلمة لم يسمعه من عبادة . وأخرجه الترمذي أيضاً من وجه آخر عن أبي سلمة قال : نبئت عن عبادة . وأخرجه أيضاً هو وأحمد وإسحاق وأبو يعلى

---

(١) يونس : ٦٤ .

من طريق عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر عن عبادة . وذكر ابن أبي حاتم عن أبيه : إن هذا الرجل ليس بمعروف . وأخرجه ابن مردويه من حديث ابن مسعود قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . فذكر مثله . وفى الباب عن جابر عند البزار وعن أبى هريرة عند الطبرى وعن عبد الله بن عمرو عند أبى يعلى .

والمراد بقوله : « لم يبق من النبوة إلا المبشرات » : الاستقبال ، أى لا يبقى . وقيل : هو على ظاهره ، لأنه قال ذلك فى زمانه ، واللام فى « النبوة » للعهد ، والمراد : نبوته ، والمعنى : لم يبق بعد النبوة المختصة بى إلا المبشرات . ثم فسرها بالرؤيا ، وصرح به فى فى حديث عائشة عند أحمد بلفظ : « لم يبق بعدى » .

وقد جاء فى حديث ابن عباس : أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك فى مرض موته . أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى من طريق إبراهيم بن عبد الله بن معبد عن أبيه عن ابن عباس : أن النبى صلى الله عليه وسلم كشف

الستارة ورأسه معصوب فى مرضه الذى مات فيه ، والناس صفوف خلف أبى بكر ، فقال : « يا أيها الناس ، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له . . » الحديث .

وللنسائى من رواية زفر بن صعصعة عن أبى هريرة رفعه أنه : « ليس يبقّ بعدى من النبوة إلا الرؤيا الصالحة » . وهذا يؤيد التأويل الأول . وظاهر الاستثناء مع ما تقدم ، من أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة ، أن الرؤيا نبوة ، وليس كذلك ، لما تقدم أن المراد تشبيه أمر الرؤيا بالنبوة ، أو لأن جزء الشيء لا يستلزم ثبوت وصفه له ، كمن قال : أشهد أن لا إله إلا الله » رافعاً صوته لا يسمى مؤذناً ، ولا يقال إنه أذن وإن كانت جزءاً من الأذان . وكذا لو قرأ شيئاً من القرآن وهو قائم لا يسمى مصلياً ، وإن كانت القراءة جزءاً من الصلاة .

ويؤيده : حديث أم كُرْز — بضم الكاف وسكون

الراء بعدها زاى ـ الكعبية قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ذهبت النبوة وبقيت المبشرات » . أخرجه أحمد وابن ماجه وصححه ابن خزيمة وابن حبان . ولأحمد عن عائشة مرفوعاً : : لم يبق بعدى من المبشرات إلا الرؤيا » . وله وللطبرانى من حديث حذيفة بن أسيد مرفوعاً : « ذهبت النبوة وبقيت المبشرات » . ولأبي يعلى من حديث أنس رفعه : « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت ولا نبي ولا رسول بعدى ولكن بقية المبشرات » . قالوا : وما المبشرات ؟ قال : « رؤيا المسلمين جزءٌ من أجزاء النبوة » .

قال المهلب ما حاصله :

[التعبير] بـ « المبشرات » خرج للأغلب ، فإن من الرؤيا ما تكون منذرة وهى صادقة يريها الله للمؤمن رفقاً به ، ليستعد لما يقع قبل وقوعه .

وقال ابن التين :

معنى الحديث أن الوحي ينقطع بموتى ولا يبقى ما

يعلم منه ما سيكون إلا الرؤيا ويرد عليه الإلهام فإن فيه إخباراً بما سيكون ، وهو للانبياء بالنسبة للوحى كالرؤيا ، ويقع لغير الأنبياء كما فى الحديث « قد كان فيمن مضى من الأمم محدِّثون . . . » وفسر المُحَدَّث : بالمُلْهَم . وقد أخبر كثير من الأولياء عن أمور مغيبة ، فكانت كما أخبروا . والجواب : أن الحصر فى المنام لكونه يشمل آحاد المؤمنين ، بخلاف الإلهام ، فإنه مختص بالبعض . ومع كونه مختصاً فإنه نادر ، فإنما ذكر المنام لشموله وكثرة وقوعه ، ويشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « فإن يكن » ، وكان السر فى ندور الإلهام فى زمنه وكثرته من بعده ، غلبه الوحى إليه صلى الله عليه وسلم فى اليقظة ، وإرادة إظهار المعجزات منه ، فكان المناسب أن لا يقع لغيره منه فى زمانه شىء انقطع بموته وقع الإلهام لمن اختصه الله به ، للأمن من اللبس فى ذلك ، وفى إنكار وقوع ذلك مع كثرته واشتهاره مكابرة لمن أنكره .

الرؤيا من الله والحلم من الشيطان

(أخرج البخارى رحمه الله : عن أبى قتادة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الرؤيا الصادقة من الله ، والحلم من الشيطان » .

وأخرج عن أبى سعيد الخدرى أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هى من الله ، فليحمد الله عليها وليحدث بها ، وإذا رأى غير ذلك مما يكره ، فإنما هى من الشيطان ، فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره »

وأخرج من طريق أخرى عن أبى قتادة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الرؤيا من الله والحلم من الشيطان . فإذا حلم أحدكم الحلم يكرهه فليبصق عن يساره وليستعذ بالله منه فلن يضره ».

وأخرج من طريق أخرى عن أبى قتادة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الرؤيا من الله والحلم

من الشيطان . فمن رأى شيئاً يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثاً وليتعوذ من الشيطان فإنها لا تضره ، وإن الشيطان يتراءى بى » .

وأخرج من طريق أخرى عن أبى سلمة قال : لقد كنت أرى الرؤيا فتمرضنى حتى سمعت أبا قتادة يقول : وأنا كنت أرى الرؤيا تمرضنى حتى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « الرؤيا الحسنة من الله ، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يُحدث به إلا من يحب ، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان ، وليتفل ثلاثاً ولا يحدث بها أحداً فإنها لا تضره » .

قال المهلب : سمى الشارع الرؤيا الخالصة من الأضغاث صالحة وصادقة وأضافها إلى الله . وسمى الأضغاث حلماً وأضافها إلى الشيطان ، إذ كانت مخلوقة على شاكلته ، فأعلم الناس بكيده وأرشدهم إلى دفعه ، لئلا يبلغوه أربه فى تحزينهم والتهويل عليهم . وقال أبو عبد الملك :

أضيفت إلى الشيطان لكونها على هواه ومراده . وقال ابن الباقلانى : يخلق الله الرؤيا الصالحة بحضرة الملك . ويخلق الرؤيا التى تقابلها بحضرة الشيطان ، فمن ثم أضيفت إليه . وقيل : أضيفت إليه لأنه الذى يخيل بها ولا حقيقة لها فى نفس الأمر .

فحاصل ما ذكر فى أدب الرؤيا الصالحة ثلاثة أشياء :

* أن يحمد الله عليها .
* أن يستبشر بها .
* وأن يتحدث بها لكن لمن يحب دون من يكره .

وحاصل ما ذكر من أدب الرؤيا المكروهة أربعة أشياء :

* أن يتعوذ بالله من شرها .
* ومن شر الشيطان .
* وأن يتفل حين يهب من نومه عن يساره ثلاثاً .
* ولا يذكرها لأحد أصلا .

ووقع عند المصنف (- يعني البخاري -) عن أبي هريرة خامسة وهي « الصلاة » ولفظه : « فمن رأى شيئاً يكرهه فلا يقصه على أحد وليقم فليصل » . لكن لم يصرح البخاري بوصله وصرح به مسلم . وغفل القاضي أبو بكر بن العربي فقال : زاد الترمذي على الصحيحين بالأمر بالصلاة . انتهى .

وزاد مسلم سادسة وهي « التحول عن جنبه الذي كان عليه » فقال : حدثنا قتيبة : حدثنا ليث ، وحدثنا ابن رمح : أنبأنا الليث ، عن أبي الزبير عن جابر رفعه : « إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق على يساره ثلاثاً ، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثاً ، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه » . وقال قبل ذلك : حدثنا قتيبة ومحمد بن رمح عن الليث بن سعد ، وحدثنا محمد بن المثنى : حدثنا عبد الوهاب ، وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا عبد الله بن نمير : كلهم عن يحيي بن سعيد . وزاد ابن رمح في هذا الحديث : « وليتحول عن جنبه الذي كان عليه » . وذكر بعض

الحفاظ أن هذه الزيادة إنما هى فى حديث الليث عن أبى الزبير ، كما اتفق عليه قتيبه وابن رمح ، وأما طريق يحيي بن سعيد فى حديث أبى قتادة فليست فيه ، ولم يذكرها قتيبة . وفى الجملة ، فتكمل الأداب ستة ، الأربعة الماضية والصلاة والتحول .

ورأيت فى بعض الشروح ذكر سابعة ، وهى قراءة آية الكرسى ، ولم يذكر لذلك مستنداً ، فإن كان أخذه من عموم قوله فى حديث أبى هريرة : « ولا يقربنك شيطان . . » فيتجه ؛ وينبغى أن يقرأها فى صلاته المذكورة .

وقد ذكر العلماء حكمة هذه الأمور :

فأما الاستعاذة بالله من شرها فواضح ، وهى مشروعة عند كل أمر يكره . وأما الاستعاذة من الشيطان ، فلما وقع فى بعض طرق الحديث أنها منه وأنه يخيل بها لقصد تحزين آدمى والتهويل عليه كما تقدم .

أما النقل فقال عياض :

أمر به طرداً للشيطان الذى حضر الرؤيا المكروهة

تحقيراً له واستقذاراً ، وخصت به اليسار لأنها محل الأقذار ونحوها . قلت : والتثليث للتأكيد . وقال القاضى أبو بكر بن العربى : فيه إشارة إلى أنه فى مقام الرقية ، ليستقر عند النفس دفعه عنها ، وعبر فى بعض الروايات بالبصاق إشارة إلى استقذاره . وقد ورد بثلاثة : النفث والتفل والبصق .

قال النووى فى الكلام على النفث فى الرقية تبعاً لعياض :

اختلف فى النفث والتفل ، فقيل هما بمعنى ، ولا يكونان إلا بريقٍ . وقال أبو عبيد : يشترط فى التفل ريق يسير ولا يكون فى النفث ، وقيل عكسه . وسئلت عائشة عن النفث فى الرقية فقالت : كما ينفث آكل الزبيب لا ريق معه . قال : ولا اعتبار بما يخرج معه بلّة بغير قصد . قال : وقد جاء فى حديث أبى سعيد فى الرقية بفاتحة الكتاب : « فجعل يجمع بزاقه » . قال عياض : وفائدة التفل التبرك بتلك الرطوبا والهواء ، والنفث للمباشر للرقية المقارن للذكر الحسن كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر والأسماء .

وقال النووى أيضاً :

أكثر الروايات فى الرؤيا : « فلينفث » وهو نفخ لطيف بلا ريق ، فيكون التفل والبصق محمولين عليه مجازاً . قلت : لكن المطلوب فى الموضعين مختلف ، لأن المطلوب فى الرقية التبرك برطوبة الذكر كما تقدم ، والمطلوب هنا طرد الشيطان وإظهار احتقاره واستقذاره ، كما نقله هو عن عياض كما تقدم . فالذى يجمع الثلاثة الحمل على التفل ، فإنه نفخ معه ريق لطيف . فبالنظر إلى النفخ قيل له : نفث ، وبالنظر إلى الريق قيل له : بصاق .

قال النووى :

وأما قوله : « « فإنها لا تضره » فمعناه أن الله جعل ما ذكر سبباً للسلامة من المكروه المترتب على الرؤيا ، كما جعل الصدقة وقاية للمال . انتهى .

وأما الصلاة ، فلما فيها من التوجه إلى الله واللجأ إليه ، ولأن فى التحرم بها عصمة من الأسواء ، وبها تكمل الرغبة وتصح الطلبة ، لقرب المصلى من ربه عند سجوده

وأما التحول ، فللتفاؤل بتحول تلك الحال التي كان عليها .

قال النووى :

وينبغى أن يجمع بين هذه الروايات كلها ويعمل بجميع ما تضمنته ، فإن اقتصر على بعضها أجزأه فى دفع ضررها بإذن الله تعالى ، كما صرحت به الأحاديث قلت : لم أر فى شيء من الأحاديث الاقتصار على واحدة . نعم أشار المهلب إلى أن الاستعاذة كافية فى دفع شرها ، وكأنه أخذه من قوله تعالى : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » (١) فيحتاج مع الاستعاذة إلى صحة التوجه ، ولا يكفى إمرار الاستعاذة باللسان .

وقال القرطبى فى « المفهم » :

الصلاة تجمع ذلك كله ، لأنه إذا قام فصلى تحول

---

(١) النحل : ٩٨ : ٩٩ .

عن جنبه وبصق ونفث عند المضمضة فى الوضوء واستعاذ قبل القراءة ثم دعا الله فى أقرب الأحوال إليه ، فيكفيه الله شرها بمنه وكرمه .

وورد فى صفة التعوذ من شر الرؤيا أثر صحيح أخرجه سعيد بن منصور وابن أبى شيبة وعبد الرزاق باسانيد صحيحة عن إبراهيم النخعى قال : إذا رأى أحدكم فى منامه ما يكره فليقل إذا استيقظ : أعوذ بما عاذت به ملائكة الله ورسله من شر رؤياى هذه أن يصيبنى فيها ما أكره فى دينى ودنياى .

وورد فى الاستعاذة من التهويل فى المنام ما أخرجه مالك قال : بلغنى أن خالد بن الوليد قال : يا رسول الله ، إنى أروَّع فى المنام فقال : « قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر غضبه وعذابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » . وأخرجه النسائى من رواية عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان خالد بن الوليد يفزع فى منامه . . فذكر نحوه وزاد فى أوله ·

« إذا اضطجعت فقل باسم الله . . » فذكره . وأصله عند أبى داود والترمذى وحسنه والحاكم وصححه .

واستثنى الداودى من عموم قوله :

« إذا رأى ما يكره » ما يكون فى الرؤيا الصادقة ، لكونها قد تقع إنذاراً كما تقع تبشيراً ، وفى الإنذار نوع ما يكرهه الرائى ، فلا يشرع إذا عرف أنها صادقة ما ذكره من الاستعاذة ونحوها . واستند إلى ما ورد من مرائى النبى صلى الله عليه وسلم كالبقر التى تنحر ونحو ذلك .

ويمكن أن يقال : لا يلزم من ترك الاستعاذة فى الصادقة أن لا يتحول عن جنبه ، ولا أن لا يصلى ، فقد يكون ذلك سبباً لدفع مكروه الإنذار مع حصول مقصود الإنذار . وأيضاً فالمنذورة قد ترجع إلى معنى المبشرة ، لأن من أنذر بما سيقع له ، ولو كان لأيسره ، أحسن حالاً ممن هجم عليه ذلك ، فإنه ينزعج ما لا ينزعج من كان يعلم بوقوعه ، فيكون ذلك تخفيفا عنه ورفقاً به .

قال الحكيم الترمذى :

الرؤيا الصادقة أصلها حق ، تخبر عن الحق ، وهو بشرى وإنذار ومعاتبة ، لتكون عوناً لما ندب إليه . قال : وقد كان غالب أمور الأولين الرؤيا ، إلا أنها قلّت فى هذه الأمة لعظم ما جاء به نبيها من الوحى ، ولكثرة من فى أمته من الصديقين من المحدَّثين — بفتح الدال — وأهل اليقين ، فاكتفوا بكثرة الإلهام والملهمين عن كثرة الرؤيا التى كانت فى المتقدمين .

وقال القاضي عياض :

يحتمل قوله : « الرؤيا الحسنة » و « الصالحة » أن يرجع إلى حسن ظاهرها أو صدقها ، كما أن قوله « الرؤيا المكروهة » أو « السوء » يحتمل سوء الظاهر أو سوء التأويل . وأما كتمها مع أنها قد تكون صادقة فخفيت حكمته ، ويحتمل أن يكون لمخافة تعجيل اشتغال سر الرائى بمكروه تفسيرها ، لأنها قد تبطىء ، فإذا لم يخبر بها زال تعجيل روعها وتخويفها ، ويبقى إذا لم يعبرها له أحد بين الطمع فى أن لها تفسيراً

حسناً ، أو الرجاء فى أنها من الأضغاث ، فيكون ذلك أسكن لنفسه .

واستدل بقوله : « ولا يذكرها » على أن الرؤيا تقع على ما يعبر به . واستدل به على أن للوهم تأثيراً فى النفوس لأن التفل وما ذكر معه يدفع الوهم الذى يقع فى النفس من الرؤيا . فلو لم يكن للوهم تأثير لما أرشد إلى ما يدفعه ، وكذا فى النهى عن التحديث بما يكره والأمر بالتحديث بما يحب لمن يحب .

[و] قوله فى حديث أبى سعيد : « وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هى من الشيطان » ، ظاهر الحصر أن الرؤيا الصالحة لا تشتمل على شىء مما يكرهه الرائى ، ويؤيده مقابلة رؤيا البشرى بالحلم وإضافة الحلم إلى الشيطان . وعلى هذا ففى قول أهل التعبير ومن تبعهم : أن الرؤيا الصادقة قد تكون بشرى وقد تكون إنذاراً نظر ، لأن الإنذار غالباً يكون فيما يكره الرائى . ويمكن الجمع بأن الإنذار لا يستلزم وقوع المكروه كما تقدم

تقريره ، وبأن المراد بما يكره ما هو أعم من ظاهر الرؤيا ومما تعبر به .

وقال القرطبي فى « المفهم » :

ظاهر الخبر أن هذا النوع من الرؤيا – يعنى ما كان فيه تهويل أو تخويف أو تحزين – هو المأمور بالاستعاذة منه ، لأنه من تخيلات الشيطان ، فإذا استعاذ الرائى منه صادقاً فى التجائه إلى الله وفعل ما أمر به ، من التفل والتحول والصلاة ، أذهب الله عنه ما به وما يخافه من مكروه ذلك ولم يصبه منه شيء . وقيل : بل الخبر على عمومه فيما يكرهه الرائى بتناول ما يتسبب به الشيطان وما لا تسبب له فيه ، وفعل الأمور المذكورة مانع من وقوع المكروه ، كما جاء أن الدعاء يدفع البلاء ، والصدقة تدفع ميتة السوء ، وكل ذلك بقضاء الله وقدره ، ولكن الأسباب عادات لا موجودات .

وأما ما يرى أحياناً مما يعجب الرائى ولكنه لا يجده فى اليقظة ولا ما يدل عليه ، فإنه يدخل فى قسم آخر ، وهو ما كان الخاطر به مشغولاً قبل النوم ، ثم يحصل النوم فيراه ، فهذا قسم لا يضر ولا ينفع .

رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام

[أخرج البخارى رحمه الله : عن أبى هريرة قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ، ولا يتمثل الشيطان بى » . قال أبو عبد الله : قال ابن سيرين : إذا رآه فى صورته .

وأخرج عن أنس رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من رآنى فى المنام فقد رآنى ، فإن الشيطان لا يتمثل بى . ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » .

وأخرج عن أبى قتادة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان ، فمن رأى شيئاً يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثاً ، وليتعوذ من الشيطان ، فإنها لا تضره ، وإن الشيطان لا يتراءى بى » .

وأخرج أيضاً عن أبى قتادة رضى الله عنه قال :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من رآنى فقد رأى الحق » .

وأخرج عن أبى سعيد الخدرى : سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من رآنى فقد رأى الحق ، فإن الشيطان لا يتكونني » .

قال الحافظ رحمه الله :

قوله : قال أبو عبد الله : قال ابن سيرين : إذا رآه فى صورته . . رويناه موصولاً من طريق إسماعيل ابن إسحاق القاضى عن سليمان بن حرب – وهو من شيوخ البخارى – عن حماد بن زيا عن أيوب قال : كان محمد – يعنى ابن سيرين – إذا قص عليه رجل أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قال : صف لى الذى رأيته ؟ فإن وصف له صفة لا يعرفها قال : لم تره . وسنده صحيح .

ووجدت له ما يؤيده : فأخرج الحاكم من طريق عاصم بن كليب : حدثنى أبى قال : قلت لابن عباس :

رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام قال : صفه لى ؟ قال : ذكرت الحسن بن على فشبهته به . قال : قد رأيته . وسنده جيد . ويعارضه : ما أخرجه ابن أبى عاصم من وجه آخر عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رآنى فى المنام فقد رآنى ، فإنى أرَى فى كل صورة » . وفى سنده « صالح » مولى التوأمة ، وهو ضعيف لاختلاطه ، وهو من رواية من سمع منه بعد الاختلاط .

ويمكن الجمع بينهما بما قال القاضى أبو بكر ابن العربى : رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة ، إدراك على الحقيقة ، ورؤيته على غير صفته إدراك للمثال . فإن الصواب أن الأنبياء لا تغيرهم الأرض ، ويكون إدراك الذات الكريمة حقيقة ، وإدراك الصفات إدراك المثل . قال : وشذ بعض القدرية فقال : الرؤيا لا حقيقة لها أصلاً ، وشذ بعض الصالحين فزعم أنها تقع بعينى الرأس حقيقة . وقال بعض المتكلمين : هى مدركة بعينين فى القلب .

قال : وقوله : « فسيرانى » معناه : فسيرى تفسير ما رأى ، لأنه حق وغَيْبَ أُلقى فيه . وقيل : معناه : فسيرانى فى القيامة ، ولا فائدة فى هذا التخصيص . وأما قوله : « فكأنما رآنى » فهو تشبيه ، ومعناه أنه لو رآه فى اليقظة لطابق ما رآه فى المنام ، فيكون الأول حقاً وحقيقة ، والثانى حقاً ومثالاً .

قال : وهذا كله إذا رآه على صورته المعروفة . فإن رآه على خلاف صفته ، فهى أمثال . فإن رآه مقبلاً عليه مثلاً فهو خير للرائى وفيه ، وعلى العكس فالعكس .

وقال النووى .

قال عياض : يحتمل أن يكون المراد بقوله : « فقد رآنى » أو « فقد رأى الحق » ، أن من رآه على صورته فى حياته كانت رؤياه حقاً ، ومن رآه على غير صورته كانت رؤيا تأويل . وتعقبه فقال : هذا ضعيف ، بل الصحيح أنه يراه حقيقة ، سواء كانت على صورته المعروفة أو غيرها . انتهى .

ولم يظهر لى من كلام القاضى ما ينافى ذلك ، بل ظاهر قوله أنه يراه حقيقة فى الحالين ، لكن فى الأولى تكون الرؤيا مما لا يحتاج إلى تعبير ، والثانية مما يحتاج إلى التعبير .

قال القرطبي :

اختلف فى معنى الحديث ، فقال قوم : هو على ظاهره ، فمن رآه فى النوم رأى حقيقته ، كمن رآه فى اليقظة سواء . قال : وهذا قول يدرك فساده بأوائل العقول ، ويلزم عليه أن لا يراه أحد إلا على صورته التى مات عليها ، وأن لا يراه رائيان فى آن واحد فى مكانين ، وأن يحيا الآن ويخرج من قبره ويمشى فى الأسواق ، ويخاطب الناس ويخاطبوه . ويلزم فى ذلك أن يخلو قبره من جسده ، فلا يبقى [من قبره فيه شيء] ، فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب ، لأنه جائز أن يرى فى الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته فى غير قبره . وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل .

وقالت طائفة :

معناه : أن من رآه رآه على صورته التى كان عليها . ويلزم منها أن من رآه على غير صفته أن تكون رؤياه من الأضغاث . ومن المعلوم أنه يرى فى النوم على حالة تخالف حالته فى الدنيا ، من الأحوال اللائقة به ، وتقع تلك الرويا حقاً ، كما لو روى ملأ داراً بجسمه مثلاً ، فإنه يدل على امتلاء تلك الدار بالخير . ولو تمكن الشيطان من التمثيل بشىء مما كان عليه ، أو ينسب إليه ، لعارض عموم قوله : « فإن الشيطان لا يتمثل بى » . فالأولى أن تنزه رؤياه ، وكذا رؤيا شىء منه ، أو مما ينسب إليه عن ذلك ، فهو أبلغ فى الحرمة وأليق بالعصمة ، كما عصم من الشيطان فى يقظته .

قال : والصحيح فى تأويل هذا الحديث أن مقصوده ، أن رؤيته فى كل حالة ليست باطلة ولا أضغاثا ، بل هى حق فى نفسها . ولو روى على غير صورته ، فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان ،

بل هو من قبل الله . وقال : وهذا قول القاضى أبى بكر ابن الطيب وغيره . ويؤيده قوله : « فقد رأى الحق » : أى رأى الحق الذى قصد إعلام الرائى به ، فكانت على ظاهرها ، وإلا سعى فى تأويلها ، ولا يهمل أمرها ، لأنها إما بشرى بخير أو إنذار من شر ؛ إما ليخيف الرائى ، وإما لينزجر عنه ، وإما لينبه على حكم يقع له فى دينه أو دنياه .

وقال ابن بطال :

قوله : « فسيرانى فى اليقظة » ، يريد تصديق تلك الرؤيا فى اليقظة وصحتها وخروجها على الحق ، وليس المراد أنه يراه فى الآخرة ، لأنه سيراه يوم القيامة فى اليقظة ، فتراه جميع أمته ، من رآه فى النوم ومن لم يره منهم .

وقال ابن التين :

المراد من آمن به فى حياته ولم يره ، لكونه حينئذ غائباً عنه ، فيكون بهذا مبشراً لكل من آمن به ولم يره ، أنه لابد أن يراه فى اليقظة قبل موته ،

قاله القزاز . وقال المازرى : إن كان المحفوظ : « فكأنما رآنى فى اليقظة » فمعناه ظاهر ، وإن كان المحفوظ : « فسيرانى فى اليقظة » احتمل أن يكون أراد أهل عصره ممن يهاجر إليه ، فإنه إذا رآه فى المنام جعل ذلك علامة على أنه يراه بعد ذلك فى اليقظة ، وأوحى الله بذلك إليه صلى الله عليه وسلم .

وقال القاضى :

وقيل معناه : سيرى تأويل تلك الرؤيا فى اليقظة وصحتها . وقيل : معنى الرويا فى اليقظة أنه سيراه فى الآخرة ، وتعقب بأنه فى الآخرة يراه جميع أمته ، من رآه فى المنام ومن لم يره ، يعنى فلا يبقى لخصوص رويته فى المنام مزية . وأجاب القاضى عياض : باحتمال أن تكون رؤياه له فى النوم على الصفة التى عرف بها ووصف عليها ، موجبة لتكرمته فى الآخرة ، وأن يراه روية خاصة من القرب منه والشفاعة له بعلو الدرجة ونحو ذلك من الخصوصيات . قال : ولا يبعد أن

يعاقب الله بعض المذنبين فى القيامة ، بمنع رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم مدة .

وحمله ابن أبى جمرة على محمل آخر ، فذكر عن ابن عباس أو غيره ، أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فبقى بعد أن استيقظ متفكراً فى هذا الحديث ، فدخل على بعض أمهات المؤمنين ، ولعلها خالته ميمونة ، فأخرجت له المرآة التى كانت للنبى صلى الله عليه وسلم ، فنظر فيها ، فرأى صورة النبى صلى الله عليه وسلم ولم ير صورة نفسه . ونقل عن جماعة من الصالحين أنهم رأوا النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ثم رأوه بعد ذلك فى اليقظة ، وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين ، فأرشدهم إلى طريق تفريجها ، فجاء الأمر كذلك .

قلت : وهذا مشكل جداً ، ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة ، ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة . ويعكر عليه أن جمعاً جماً رأوه فى المنام ، ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه فى اليقظة ، وخبر الصادق

لا يتخلف . وقد اشتد إنكار القرطبي على من قال : من رآه فى المنام فقد رأى حقيقته ، ثم يراها كذلك فى اليقظة ، كما تقدم قريباً .

وقد تفطن ابن أبى جمرة لهذا فأحال بما قال على كرامات الأولياء ، فإن يكن كذلك تعين العدول عن العموم فى كل راء . ثم ذكر أنه عام فى أهل التوفيق ، وأما غيرهم فعلى الاحتمال ، فإن خرق العادة قد يقع للزنديق بطريق الإملاء والإغواء ، كما يقع للصديق بطريق الكرامة والإكرام ، وإنما تحصل التفرقة بينهما باتباع الكتاب والسنة . انتهى .

والحاصل من الأجوبة ستة :

أحدها : أنه على التشبيه والتمثيل ، ودل عليه قوله فى الرواية الأخرى : « فكأنما رآنى فى اليقظة » [— كما وقع عند ابن ماجه من حديث أبى جحيفة ، وكما وقع عند مسلم أيضاً على الشك —] .

ثانيها : أن معناها : سيرى فى اليقظة تأويلها ، بطريق الحقيقة أو التعبير .

ثالثها : أنه خاص بأهل عصره ممن آمن به قبل أن يراه .

رابعها : أنه يراه فى المرآة التى كانت له إن أمكنه ذلك ، وهذا من أبعد المحامل .

خامسها : أنه يراه يوم القيامة بمزيد خصوصية ، لا مطلق من يراه حينئذ ممن لم يره فى المنام .

سادسها : أنه يراه فى الدنيا حقيقة ويخاطبه ، وفيه ما تقدم من الإشكال .

وقال القرطبي :

قد تقرر أن الذى يرى فى المنام أمثلة للمرئيات لا أنفسها ، غير أن تلك الأمثلة تارة تقع مطابقة وتارة يقع معناها . فمن الأول : روياه صلى الله عليه وسلم عائشة ، وفيه : « فإذا هى أنت » . فأخبر أنه رأى فى اليقظة ما رآه فى نومه بعينه . ومن الثانى : رؤيا البقر التى تنحر . والمقصود بالثانى التنبيه على معانى تلك الأمور .

ومن فوائد رؤيته صلى الله عليه وسلم تسكين شوق الرائى ، لكونه صادقاً فى محبته ، ليعمل على مشاهدته ، وإلى ذلك الإشارة بقوله : « فسيرانى فى اليقظة » . أى من رآنى رؤية معظم لحرمتى ومشتاق إلى مشاهدته ، وصل إلى رؤية محبوبه ، وظفر بكل مطلوبه .

قال : ويجوز أن يكون مقصود تلك الرؤيا معنى صورته ، وهو دينه وشريعته ، فيعبر بحسب ما يراه الرائى من زيادة ونقصان ، أو إساءة وإحسان . قلت : وهذا جواب سابع ، والذى قبله لم يظهر لى ، فإن ظهر فهو ثامن .

[و] قوله : « ولا يتمثل الشيطان بى » . وفى رواية أنس فى الحديث الذى بعده : فإن الشيطان لا يتمثل بى » ، و [— عند البخارى —] فى كتاب العلم من حديث أبى هريرة مثله ، لكن قال : « لا يتمثل فى صورتى » . وفى حديث جابر عند مسلم وابن ماجه : « إنه لا ينبغى للشيطان أن يتمثل بى » . وفى حديث

ابن مسعود عند الترمذى وابن ماجه : « إن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بى » . وفى حديث أبى قتادة الذى يليه : « وإن الشيطان لا يتراءى » – بالراء – بوزن يتعاطى ، ومعناه : لا يستطيع أن يصير مرئياً بصورتى . وفى رواية غير أبى ذر [– يعنى لصحيح البخارى –] : « يتزايا » بزاى وبعد الألف تحتانية . وفى حديث أبى سعيد فى آخر الباب : « فإن الشيطان لا يتكوننى » .

أما قوله : « لا يتمثل بى » فمعناه : لا يتشبه بى . وأما قوله : « فى صورتى » فمعناه : لا يصير كائناً فى مثل صورتى . وأما قوله : « لا يتراءى بى » فرجح بعض الشراح رواية الزاى عليها ؛ أى لا يظهر فى زيى ، وليست الرواية الأخرى ببعيدة من هذا المعنى .

وأما قوله : « لا يتكوننى » : أى لا يتكون كونى ، فحذف المضاف ووصل المضاف إليه بالفعل ، والمعنى : لا يتكون فى صورتى . فالجميع راجع إلى معنى واحد . وقوله : « لا يستطيع » يشير إلى أن الله تعالى وإن

أمكنه من التصور فى أى صورة أراد ، فإنه لم يمكنه من التصور فى صورة النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد ذهب إلى هذا جماعة فقالوا فى الحديث : إن محل ذلك إذا رآه الرائى على صورته التى كان عليها . ومنهم من ضيق الغرض فى ذلك حتى قال : لا بد أن يراه على صورته التى قبض عليها حتى يعتبر عدد الشعرات البيض التى لم تبلغ عشرين شعرة . والصواب التعميم فى جميع حالاته ، بشرط أن تكون صورته الحقيقة فى وقت ما ، سواء كان فى شبابه أو رجوليته أو كهوليته أو آخر عمره . وقد يكون لما خالف ذلك تعبير يتعلق بالرائى .

قال المازرى :

اختلف المحققون فى تأويل هذا الحديث . فذهب القاضى أبو بكر بن الطيب إلى أن المراد بقوله : « من رآنى فى المنام فقد رآنى » أن رؤياه صحيحة لا تكون أضغاثاً ولا من تشبيهات الشيطان . قال : ويعضده قوله فى بعض طرقه : « فقد رأى الحق » .

قال : وفى قوله : « فإن الشيطان لا يتمثل بى » إشارة إلى أن رؤياه لا تكون أضغاثاً .

ثم قال المازرى :

وقال آخرون : بل الحديث محمول على ظاهره ، والمراد أن من رآه فقد أدركه ، ولا مانع يمنع من ذلك ، ولا عقل يحيله حتى يحتاج إلى حرف الكلام عن ظاهره . وأما كونه قد يرى على غير صفته ، أو يرى فى مكانين مختلفين معاً ، فإن ذلك غلط فى صفته وتخيل لها على غير ما هى عليه . وقد يظن بعض الخياليات مرئيات ، لكون ما يتخيل مرتبطاً بما يرى فى العادة ، فتكون ذاته صلى الله عليه ومسلم مرئية ، وصفاته متخيلة غير مرئية . والإدراك لا يشترط فيه تحديق البصر ولا قرب المسافة ولا كون المرئى ظاهراً على الأرض أو مدفوناً ، وإنما يشترط كونه موجوداً ، ولم يقم دليل على فناء جسمه صلى الله عليه وسلم ، بل جاء فى الخبر الصحيح ما يدل على بقائه ، وتكون ثمرة اختلاف الصفات اختلاف الدلالات ، كما قال

بعض علماء التعبير : إن رآه شيخاً فهو عامُ سلمٍ ، أو شاباً فهو عام حرب . ويؤخذ من ذلك ما يتعلق بأقواله ، كما لو رآه أحد يأمره بقتل من لا يحل قتله ، فإن ذلك يحمل على الصفة المتخيلة لا المرئية .

وقال القاضي عياض :

يحتمل أن يكون معنى الحديث : إذا رآه على الصفة التي كان عليها في حياته ، لا على صفة مضادة لحاله ، فإن رؤى على غيرها كانت رؤيا تأويل لا رؤيا حقيقة ، فإن من الرؤيا ما يخرج على وجهه ومنها ما يحتاج إلى تأويل .

وقال النووى :

هذا الذى قاله القاضي ضعيف ، بل الصحيحة أنه يراه حقيقة ، سواء كانت على صفته المعروفة أو غيرها ، كما ذكره المازرى . وهذا الذى رده الشيخ [ورد] عن محمد بن سيرين إمام المعمرين اعتباره ، والذى قاله القاضى توسط حسن . ويمكن الجمع بينه وبين

ما قاله المازرى بأن تكون رؤياه على الحالين حقيقة ، لكن إذا كان على صورته كأن يرى فى المنام على ظاهره لا يحتاج إلى تعبير ، وإذا كان على غير صورته كان النقص من جهة الرائى ، لتخيله الصفة على غير ما هى عليه ، ويحتاج ما يراه فى ذلك المنام إلى التعبير . وعلى ذلك جرى علماء التعبير فقالوا : إذا قال الجاهل : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فإنه يسأل عن صفته ، فإن وافق الصفة المروية وإلا فلا يقبل منه ، وأشاروا إلى ما إذا رآه على هيئة تخالف هيئته مع أن الصورة كما هى . فقال أبو سعد أحمد بن محمد ابن نصر : من رأى نبياً على حاله وهيئته ، فذلك دليل على صلاح الرائى وكمال جاهه وظفره بمن عاداه ، ومن رآه متغير الحال عابساً مثلاً ، فذاك دال على سوء حال الرائى .

ونحا الشيخ أبو محمد بن أبى جمرة إلى ما اختاره النووى فقال بعد أن حكى الخلاف . ومنهم من قال : إن الشيطان لا يتصور على صورته أصلاً ، فمن

رآه فى صورة حسنة فذاك حسن فى دين الرائى ، وإن كان فى جارحة من جوارحه شين أو نقص . فذاك خلل فى الرائى من جهة الدين . قال : وهذا هو الحق ، وقد جرب ذلك فوجد على هذا الأسلوب ، وبه تحصل الفائدة الكبرى فى رؤياه ، حتى يتبين للرائى : هل عنده خلل أو لا ؟ لأنه صلى الله عليه وسلم نورانى مثل المرآة الصقيلة ، ما كان فى الناظر إليها من حسن أو غيره ، تصور فيها وهى فى ذاتها على أحسن حال لا نقص فيها ولا شين . وكذلك يقال فى كلامه صلى الله عليه وسلم فى النوم أنه يعرض على سنته ، فما وافقها فهو حق ، وما خالفها فالخلل فى سمع الرائى . فرؤيا الذات الكريمة حق والخلل إنما هو فى سمع الرائى أو بصره . قال : وهذا خير ما سمعته فى ذلك .

ثم حكى القاضى عياض عن بعضهم قال :

خص الله نبيه بعموم رؤياه كلها ، ومنع الشيطان أن يتصور فى صورته ، لئلا يتذرع بالكذب على

لسانه فى النوم . ولما خرق الله العادة للأنبياء للدلالة على صحة حالهم فى اليقظة ، واستحال تصور الشيطان على صورته فى اليقظة ، ولا على صفة مضادة لحاله ، إذ لو كان ذلك لدخل اللبس بين الحق والباطل ، ولم يوثق بما جاء من جهة النبوة ، حمى الله حماها لذلك من الشيطان وصوره وإلقائه وكيده . وكذلك حمى رؤياهم أنفسهم ورؤيا غير النبي للنبي ، عن تمثيل بذلك لتصح رؤياه فى الوجهين ويكون طريقاً إلى علم صحيح لا ريب فيه ، ولم يختلف العلماء فى جواز رؤية الله تعالى فى المنام . . . وساق الكلام على ذلك .

قلت : ويظهر لى فى التوفيق بين جميع ما ذكروه ، أن من رآه على صفة أو أكثر مما يختص به فقد رآه ولو كانت سائر الصفات مخالفة . وعلى ذلك فتتفاوت رؤيا من رآه ، فمن رآه على هيئته الكاملة فرؤياه الحق الذى لا يحتاج إلى تعبير ، وعليها يتنزل قوله : « فقد رأى الحق » . ومهما نقص من صفاته فيدخل

التأويل بحسب ذلك . ويصح إطلاق أن كل من رآه في أي حالة كانت من ذلك فقد رآه حقيقة .

وقال الطيبي :

المعنى : من رآني في المنام بأي صفة كانت فليستبشر ويعلم أنه قد رأى الرؤيا الحق التي هي من الله وهي مبشرة ، لا الباطل الذي هو الحلم المنسوب للشيطان ، فإن الشيطان لا يتمثل بي . وكذا قوله : « فقد رأى الحق » : أي رؤية الحق لا الباطل . وكذا قوله : « فقد رآني » ، فإن الشرط والجزاء إذا اتحدا دلّ على الغاية في الكمال ؛ أي فقد رآني رؤيا ليس بعدها شيء .

وذكر الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة ما ملخصه :

أنه يؤخذ من قوله : « فإن الشيطان لا يتمثل بي » أن من تمثلت صورته صلى الله عليه وسلم في خاطره من أرباب القلوب ، وتصورت له في عالم سره ، أنه يكلمه أن ذلك يكون حقاً ، بل ذلك أصدق من رأى غيرهم ، لما منّ الله به عليهم من تنوير قلوبهم . انتهى .

وهذا المقام الذى أشار إليه هو الإلهام ، وهو من جملة أصناف الوحى إلى الأنبياء ، ولكن لم أر فى شىء من الأحاديث وصفه بما وصفت به الرؤيا ، أنه جزء من النبوة . وقد قيل فى الفرق بينهما : إن المنام يرجع إلى قواعد مقررة ، وله تأويلات مختلفة ، ويقع لكل أحد ، بخلاف الإلهام ، فإنه لا يقع إلا للخواص ، ولا يرجع إلى قاعدة يميز بها بينه وبين لمة الشيطان .

وتعقب : بأن أهل المعرفة بذلك ذكروا أن الخاطر الذى يكون من الحق يستقر ولا يضطرب ، والذى يكون من الشيطان يضطرب ولا يستقر . فهذا إن ثبت كان فارقًا واضحًا . ومع ذلك فقد صرح الأئمة بأن الأحكام الشرعية لا تثبت بذلك .

قال أبو المظفر بن السمعانى فى « القواطع » :

بعد أن حكى عن أبى زيد الدبوسى – من أئمة الحنفية أن الإلهام ما حرك القلب لعلم يدعو إلى العمل به من غير استدلال : والذى عليه الجمهور ، أنه لا يجوز

العمل به إلا عند فقد الحجج كلها فى باب المباح .
ومن بعض المبتدعة أنه حجة ، واحتج بقوله تعالى :
« فألهمها فجورها وتقواها » (١) ، وبقوله : « وأوحى
ربك إلى النحل » (٢) : أى ألهمها حتى عرفت مصالحها ،
فيؤخذ منه مثل ذلك للآدمى بطريق الأولى . . وذكر فيه
ظواهر أخرى . ومنه الحديث قوله صلى الله عليه وسلم :
« اتقوا فراسة المؤمن » ، وقوله لوابصة : « ما حاك فى
صدرك فدعه وإن أفتوك » ، فجعل شهادة قلبه حجة
مقدمة على الفتوى . وقوله : « قد كان فى الأمم محدثون »
فثبت بهذا أن الإلهام حق ، وأنه وحى باطن ، وإنما
حُرِمَهُ العاصى لاستيلاء وحى الشيطان عليه .

قال : وحجة أهل السنة الآيات الدالة على اعتبار
الحجة والحث على التفكر فى الآيات والاعتبار والنظر

---

(١) الشمس : ٨ :
(٢) النحل : ٦٨ .

فى الأدلة وذم الأمانى والهواجس والظنون . . وهى كثيرة مشهورة . وبأن الخاطر قد يكون من الله وقد يكون من الشيطان وقد يكون من النفس ، وكل شيء احتمل أن لا يكون حقاً لم يوصف بأنه حق .

قال : والجواب عن قوله : « فألهمها فجورها وتقواها » (١) : أن معناه عَرَّفها طريق العلم ، وهو الحجج . وأما الوحى إلى النحل فنظيره فى الآدمى فى يتعلق بالصنائع وما فيه صلاح المعاش . وأما الفراسة فنسلمها ، لكن لا تجعل شهادة القلب حجة لأنا لا نتحقق كونها من الله أو من غيره . انتهى ملخصاً .

قال ابن السمعانى :

وإنكار الإلهام مردود ، ويجوز أن يفعل الله بعبده ما يكرمه به ، ولكن التمييز بين الحق والباطل فى ذلك ، أن كل من استقام على الشريعة المحمدية ولم يكن فى الكتاب والسنة ما يرده فهو مقبول ، وإلا فمردود يقع

---

(١) الشمس : ٨ .

من حديث النفس ووسوسة الشيطان . ثم قال : ونحن لا ننكر أن الله يكرم عباده بزيادة نور منه ، يزداد به نظره ويقوى به رأيه ، وإنما ننكر أن يرجع إلى قلبه بقول لا يعرف أصله ، ولا نزعم أنه حجة شرعية ، وإنما هو نور يختص الله به من يشاء من عباده ، فإن وافق الشرع كان الشرع هو الحجة . انتهى . ويؤخذ من هذا ما تقدم التنبيه عليه أن النائم لو رأى النبي صلى الله عليه وسلم يأمره بشيء : هل يجب عليه امتثاله ولابد ؟ أو لابد أن يعرضه على الشرع الظاهر ؟ فالثانى هو المعتمد كما تقدم .

رؤية البارى عز وجل فى المنام

قال الحافظ رحمه الله :

جوز أهل التعبير رؤية البارى عز وجل فى المنام مطلقاً . ولم يجروا فيها الخلاف فى رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم . وأجاب بعضهم عن ذلك بأمور قابلة للتأويل فى جميع وجوهها ، فتارة يعبر بالسلطان وتارة بالولد وتارة بالسيد وتارة بالرئيس فى أى فن كان ، فلما كان الوقوف على حقيقة ذاته ممتنعاً ، وجميع من يعبر به يجوز عليهم الصدق والكذب ، كانت رؤياه تحتاج إلى تعبير دائماً ، بخلاف النبى صلى الله عليه وسلم ، فإذا رؤى على صفته المتفق عليها ، وهو لا لا يجوز عليه الكذب ، كانت فى هذه الحالة حقاً محضاً لا يحتاج إلى تعبير .

وقال الغزالى :

ليس معنى قوله · « رآنى » أنه رأى جسمى وبدنى ، وإنما المراد أنه رأي مثالاً صار ذلك المثال آلة يتأدى

بها المعنى الذى فى نفسى إليه ، وكذلك قوله : « فسيرانى فى اليقظة » ، ليس المراد أنه يرى جسمى وبدنى . قال : والآلة تارة تكون حقيقية وتارة تكون خيالية ، والنفس غير المثال المتخيل ، فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى ولا شخصه ، بل هو مثال له على التحقيق .

قال : ومثل ذلك من يرى الله سبحانه وتعالى فى المنام ، فإن ذاته منزهة عن الشكل والصورة ، ولكن تنتهى تعريفاته إلى العبد بواسطة مثال محسوس من نور أو غيره ، ويكون ذلك المثال حقاً فى كونه واسطة فى التعريف ، فيقول الرائى : رأيت الله فى المنام ، لا يعنى أنى رأيت ذات الله تعالى ، كما يقول فى حق غيره .

وقال أبو القاسم القشيرى ما حاصله :

إن رؤياه على غير صفته لا تستلزم إلا أن يكون هو ، فإنه لو رأى الله على وصف يتعالى عنه ، وهو

يعتقد أنه منزه عن ذلك ، لا يقدح فى رؤيته ، بل يكون لتلك الرؤيا ضرب من التأويل ، كما قال الواسطى : من رأى ربه على صورة شيخ كان إشارة إلى وقار الرائى . . وغير ذلك.

* * *

بيـــان

هـــذا الكتـــاب

مختـــار من شرح الامـــام العـــلامة الحـــافظ ابن حجر العسقلانى

عـــلى صيح الامـــام البخـــارى :

« فتح البارى شرح صحيح البخارى »

وتم مراجعة الأحادث والأيات وضبط النص

بمعرفة قسم التحقيق والنشر بـــ :

مكتبة التراث الإسلامي
١٤ صفيّة زغلول
قصر العيني - القاهرة

« والله يقول الحق ويهدى إلى صراط مستقيم »

« النـــاشر »

رقم الايداع ٤٧٤٧ لسنة ١٩٨٥

مطابـــع سجـــل العـــرب







هذا الكتاب

** الرؤيا الحسنة من الله ، فاذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به الا من يحب ، واذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها أحدا فانها لا تضره ...

** رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة .

** لم يبق من النبوة الا المبشرات .. قالوا وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة ..

** الرؤيا الصادقة من الله ، والحلم من الشيطان .





٥٥٣٨٣٨

٧٥ ق.م